

أعلام النساء  
في الطب العربي

بقلم / حسني عبد الحافظ  
جمهورية مصر العربية



مامن حضارة أعزت المرأة، وأكرمتها ، مثل حضارة الإسلام ليس هذا من منطلق التمييز، ولا فلسفة المبالغة ، بل هو كبد الحقيقة ، التي سطرها التاريخ بأحرف من نور، وأقر بها المنصفون ، من مؤرخي الغرب . وعلى عكس ما يدعي البعض ، ممن في نفوسهم غرض ، أو في تفكيرهم عوج ، أن المرأة المسلمة ، سلبت حقوقها ، وأهدرت حريتها ، والمؤسف أن يروج لهذا الادعاء الباطل ، طائفة من العلمانيين ، وكثير من أصحاب الفكر المتغرب ، في عالمنا العربي ، فقد نالت المرأة ، في ظلال حضارة الإسلام الوارفة ، حقوقها غير منقوصة ، كما نالت حريتها ، التي تحفظ نقائها وصفائها ، وليس مثل تلك الحرية الطائشة ، غير الرشيدة ، التي تهدم كرامة المرأة في الغرب . إن المرأة المسلمة ، التي تصورها أفلام هوليوود ، بصورة بغيضة - ظلماً وبهتاناً - قدمت إسهامات عظيمة في تاريخ العالم ، وشاركت الرجل في بناء حضارة ، هي أعظم حضارات الدنيا ، والتي كانت يوماً تمتد من أقاصي الشرق الآسيوي ، وحتى ضفاف الأطلسي غرباً .

ومن المجالات التي شاركت فيها ، الطب والتريض ، وإذا كانت فلورانس نايتيجال ، التي ولدت في مدينة فلورنسا الإيطالية ، عام ١٨٢٠م ، قد لقبها الغرب بـ ( سيدة المصباح ) ، كونها كانت تخرج في الظلام إلى ميدان القتال ، وتحمل مصباحاً في يدها ، بحثاً عن الجرحى والمصابين لإسعافهم ، فما هو اللقب الذي تستحقه ربيعة الأسلمية ، والشفاء بنت عبد الله ، وأم عطية الأنصارية ، وغيرهن من الطبيبات والممرضات المسلمات ، اللاتي ظهرن قبل نايتيجال ، بما يزيد عن الألف عام . . . ١٩٠٠

هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن ضرار بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشية العدوية وقيل أن اسمها الحقيقي ليلي ، وأنها اشتهرت بالشفاء ، كونها كانت سبباً في شفاء العديد من المرضى ، وهي تكنى بأُم سليمان ، وأمها هي فاطمة بنت وهب بن عمرو بن مخزوم ، اعتنقت الإسلام منذ بزوغ فجره ، وكانت من أوائل المجاهدات الصابرات ، اللاتي تحملن أذى قريش ، حتى أذن الله جل وعلا للمسلمين ، بالهجرة إلى يثرب ، فهاجرت معهم . تزوجت من أبي خثيمة بن حذيفة بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب .

والى جانب ممارستها الطب ، كما سنبين لاحقاً ، فقد كانت داعية مُفَوِّهة ، وراوية للحديث النبوي الشريف ، ذكرها ابن حجر في الإصابة ، ناعثاً إياها بأنها من عقلاء النساء وفضلاهن

وكانت تستشار في بعض أمور السياسة والاقتصاد ، ويثق الفاروق عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، برأيها ويقدم كلامها على غيرها ، حتى أنه ولاها ، بحسب ما أورده ابن سعد في طبقاته ، بعض المهام المتعلقة بالحسبة .

وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قد أقطعها داراً ، في الحكاكين بالمدينة ، لتسكنها ، فجعلت منها مدرسة ، هي الأولى من نوعها ، في تاريخ الإسلام ، لمحو الأمية ، حيث كان يفدها عشرات النساء ، ليتعلمن القراءة والكتابة ، وكانت حفصة بنت عمر إحدى تلميذاتها .

أما نشاطها في حقل الطب ، فمشهود له في غير مصدر ، من المصادر التاريخية الموثوقة بها ، حيث كانت تخرج مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، في غزواته ، لتداوي الجرحى ، وشهرتها الأكبر كانت في تخصص أمراض الجلدية ، فقد ثبت أنها عالجت بنجاح ، مرض هربس زوستر وهو نوع من الأكزيما تظهر في الجنبين على هيئة قروح ، وكانت تسمى آنذاك بـ "النملة" كونها تكون مصحوبة عادة ، بألم وحكة ، يحس بها المريض ، وكأن نملة تدب على جلده وتعضه . عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثيمة القرشي ، أن رجلاً من الأنصار ، خرجت به نملة ، فدل أن الشفاء بنت عبد الله ، ترقى من النملة ، فجاءها ، فسألها أن ترقيه . فقالت : والله ما رقيت منذ أن أسلمت . فذهب الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بالذي قالت الشفاء ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الشفاء فقال إعرضي علي ، فعرضتها عليه . فقال : أرقيه ، وعلمها حفصة ، كما علمتها الكتابة " أخرجه ابن منده ، وأبو نعيم مطولاً . وروى الإمام أحمد ( ٢٧٢/ ٦ ) وأبو داود في سننه ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثيمة ، عن الشفاء بنت عبد الله ، قالت : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا عند حفصة . فقال لي : ألا تعلمين هذه - يعني حفصة - رقية النملة ، كما علميتها الكتابة .

وكانت خطوات العلاج التي اتبعتها الشفاء ، على النحو التالي : البدء أولاً بذكر الله ، والدعاء بالشفاء ، وثانياً تأتي بالدواء ، وهو عبارة عن عود من الكركم ( وهو نبات معمر ، اسمه العلمي كركوما لونجا ، له أزهار صفراء ، وأصوله تستعمل تابلاً وصبغاً ، وهو يحتوي على زيوت عطرية طيارة ، ويستعمل مطهراً خارجياً ، مدقوق على حجر ، بخل مصفى ، وثالثاً يطلى مكان النملة بالدواء ، الذي يكون على هيئة مرهم . وبهذا العلاج ، نجحت الشفاء في مداواة مريض النملة ، الذين كانوا يأتون إليها ، من داخل المدينة ، وخارجها أيضاً ، إلى أن توفاهما الله عز وجل ، في نحو سنة ٢٠ من الهجرة المباركة ، الموافق سنة ٦٤٠ م

هي طبيبة مخضرمة ، عاشت في أواخر الجاهلية ، وواكبت صدر الإسلام ، أبوها ويدعى سعداً ، كان طبيب قبيلة بني أسلم ، إحدى القبائل القحطانية ، الوافدة من جنوب شبه الجزيرة العربية . . . . . تنعت بأنها من كريمات النساء وفضليات الصحابيات المجاهدات ، بايعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، وكانت قارئة وكاتبة ، وصاحبة ثروة واسعة . . . . . ويشار إليها باعتبارها صاحبة أول مستشفى ميداني متنقل في التاريخ ، أقامته في خيمتها ، التي نصبت خلف صفوف الجيش الإسلامي ، يوم أحد وكانت تستقبل فيه الجرحى والمصابين ، لإسعافهم ، وتضميد جراحهم ، بل أشارت بعض المصادر ، بأنها كانت تدخل أرض المعركة وتشجع المجاهدين ، ومن ثم اشتهرت أيضاً بإسم الفدائية .

ويوم الخندق ، كان لها دور بارز ، في تقديم الخدمات الطبية للقوات الإسلامية ، وكان الصحابي الجليل سعد بن معاذ ، ممن تلقوا العلاج على يديها . . . . . روى الإمام مسلم ، عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنها قالت : أصيب سعد بن معاذ ، يوم أحد ، بسهم أطلقه أبو أسامة الجشمي ، حليف بني مخزوم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيدة أن تسعفه ، وتقدم له العلاج في خيمتها . ويذكر ابن حجر العسقلاني في مصنفه الموسوم " الأصابة في تمييز الصحابة " أن رفيدة ، لما رأت انغراس السهم في الأكحل ( كوع اليد ، أو الوريد المتوسط في اليد ) تصرفت بحكمة ووعي ، ونجحت في إيقاف النزيف ولم يكن سعد بن معاذ ، هو الوحيد الذي اسعفته وعالجته رفيدة يوم أحد ، بل كان هناك غيره ، من الصحابة المجاهدين ، الذين أصيبوا في الميدان .

وفي مستشفاهما المتنقل ، كونت رفيدة فريقاً من الممرضات ، اللاتي كن يعملن بالتناوب الليلي والنهاري ، وتقديراً لجهودها منحها المصطفى صلى الله عليه وسلم " حصة مقاتل " . ومن المواقف النبيلة التي تؤكد على احترام رفيدة لمهنتها الإنسانية بالدرجة الأولى ، أن رجلاً يدعى ظالم بن غادي ، كان دائماً يفضح أباه في الجاهلية ، ويتهمه بالدجال والمشعوذ ، وكان قد استأجره ابن سلول ، لقتل زوجها الذي كان يدعو إلى الإسلام في يثرب ، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها ، وبالفعل قتله ، وتشاء الأقدار أن يسلم هذا الرجل ، ويغير اسمه من ظالم بن غادي إلى راشد بن حفص ، الذي أصيب في إحدى الغزوات ، وسقط جريحاً ، فحمل إلى خيمة رفيدة وبينما تقوم بتضميد جراحه ، إذ به ينظر إليها ويبكي فتواسيه رفيدة ، وتطالبه بالهدوء ، حتى يقف النزيف ، فينهار في البكاء ، معترفاً لها بما سبق أن اقترفه ، بحق

أبيها وزوجها ، طالباً العفو والغفران ، قائلاً لقد كنت ضائعاً في جاهليتي ، سامحيني وتسامحه رفيدة ، وتواصل تضميد جراحه حتى شفي وتعافى .

إلى جانب براعتها في التعامل الطبي مع الجروح ، ووصف العقاقير والأدوية التي كانت تستحضرها من النباتات والأعشاب البرية ، فقد كانت أيضاً ماهرة في التعامل مع الكسور وتجييرها على نحو جيد وفي أوقات السلم ، كانت خيمتها الطبية ، تستقر إلى جوار مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تستقبل فيها الممرضات المناوبات ، المرضى على مدار الساعة.

وكان الشاعر المصري المعاصر أحمد محرم قد خصها في الإلياذة الإسلامية بأبيات من الشعر منها :

رفيدة علمي الناس الحنانا	وزيدي قومك العالين شانا
حباك الله من تقواه قلباً	وسوى من مراحمه البنانا
خذي الجرحى إليك فأكرميهم	وطوفى حولهم أنا فأنا
وإن هجع النيام فلا تنامي	عن الصوت المردد حيث كانا
أعيني الساهرين على كلوم	تؤرقهم فمثلك من أعانا
ضيوف الله عند في محل	تذكرنا محاسنه الجنانا
رفيدة جاهدي ودعي الهوينا	فما شرف الحياة لمن توانى

أم عطية الأنصارية :

نسبية بنت الحارث الأنصارية ، وشهرتها "أم عطية" هي طبيبة مخضمة ، عاشت أواخر العصر الجاهلي ، وعاصرت صدر الإسلام . غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سبع غزوات ، كانت خلالها تصنع الطعام للمجاهدين ، وتداوي الجرحى ، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أربعين حديثاً اتفقا على ستة منها ، وللبخاري حديث ولمسلم آخر وقد روى عنها أنس بن مالك ، ومحمد بن سيرين ، وعبد الملك بن عمير ، وحفصة بنت سيرين ، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية ، وعلي بن الأقرم ، وأم شرحبيل .

وإلى جانب تخصصها في الجراحة ، كانت تقوم بتفصيل الموتى من النساء ، وهي التي غسلت السيدة زينب ، أبة النبي صلى الله عليه وسلم . وبحسب ما أورده الذهبي ، في أعلام النبلاء ، فقد عاشت إلى حدود عام ٧٠ هـ، قضت منها السنوات الأخيرة ، في مدينة البصرة ،

مواصلة عملها في علاج المرضى ، وإجراء الجراحات ، كما كانت تعقد دروس العلم ، بشكل منتظم ، حتى وفاتها .

اشتهرت بطب العيون ، لا يُعرف تحديداً سنة ولادتها أو مماتها ، وإن كانت المصادر ، قد أشارت إلى أنها عاشت في أواخر الدولة الأموية . . وبني أود ، الذين تنسب إليهم زينب ، هم بطن من باهلة ، وباهلة قبيلة كبيرة ، من العدنانية ، تنسب إلى باهلة أم بنو مالك بن أعصر . . ذكرها بن أبي أصيبعة ، في مصنفة الموسوم ( عيون الأبناء في طبقات الأطباء ) قائلاً " زينب طبيبة أود ، كانت عارفة بالأعمال الطبية مشهورة بين العرب وقال أبو الفرج الأصفهاني ، صاحب الأغاني : أخبرنا محمد بن خلف المرزبان ، قال : حدثني حماد بن أسحق ، عن أبيه ، عن كناسة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد ، كان قد أصابني ، فكحلتنني ، ثم قالت : أضطجع قليلاً ، حتى يدور الدواء في عينك فاضجعت ، ثم تمثلت قول الشاعر :

أمخترمي ريب المنون ولم أزر      طبيب بني أود على النأي زينبا

فضحكت ، ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا . . !! قالت : في والله قيل ، وأنا زينب التي عناها ، وأنا طبيبة بني أود . أفتردي من الشاعر . . !! قلت : لا . . !! قالت : عمك ، أبو سمالك الأسدي

هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف المازنية الأنصارية ، صحابية جلييلة ، ومجاهدة كبيرة وطيبة مشهورة ، أسلمت في وقت مبكر قبيل الهجرة المباركة ، وحضرت ليلة العقبة ، وكانت من المباعين للنبي صلى الله عليه وسلم . . شهدت غزوة أحد ، مع زوجها وابنيها ، وتذكر المصادر أنها كانت منذ أول نهار أحد تخرج لتسقي المجاهدين ، وتطبيب الجرحي ، فلما انهزم المسلمون ، انحازت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالسيف وأخذت ترمي بالقوس ، حتى خلصت إليها الجراح ، وذلك لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اقبل ابن قميئة ، وهو يصيح ، دلوني على محمد ، فلا نجوت إذا نجا ، فاعترض له مصعب بن عمير ، وناس معه ، وكانت أم عمارة فيهم ، فضربها ضربة ، وضربته على ذلك ضربات ، ولكن كان عليه درعان ، فاتقى بهما ضرباتها . وفي حديث لها ، حول هذه الواقعة ،

تقول أم عمارة : انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما بقي إلا نضر ما يتممون عشرة وأنا وابنائي وزوجي بين يديه ، نذب عنه صلى الله عليه وسلم ، والناس يَمرون منزهمين ، ورآني صلى الله عليه وسلم لا ترس لي معي فرأى رجلاً موالياً معه ترس . فقال لصاحب الترس : ألقى ترسك إلى من يقاتل . فألقى ترسه ، فأخذته فجعلت أنترس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، لو كانوا رجاله - أي يسيرون على أرجلهم - مثلنا ، أصبناهم إن شاء الله فيقبل رجل عليّ ، على فرس ، فيضربني وتترست له ، فلم يصنع سيفه شيئاً وولى وأضرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح يا ابن أم عمارة ، أمك ، أمك . قالت : فعاونني عليه ، حتى أوردته شعوب .

وكانت أم عمارة ، متفانية في نشاطها الخاص بالطب ، ومداواة الجرحى ، خلف صفوف الجيش الإسلامي ، بل كثيراً ما كانت تتدخل إلى الميدان ، لكي تقدم الإسعافات العاجلة . . ومن موافقها ، أنها لما كانت تمارس نشاطها هذا . جرح ابنها عبيد بن زيد ، وسال دمه دون أن تتبته حتى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابنها قائلاً : يا عبيد الله اعصب جرحك . فتبته إلى ابنها ، وأقبلت إليه ، ومعها عصائب حقوبها ، قد أعدتها للجراح ، فربطت جرحه ، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف ينظر إليها . ثم قالت أم عمارة لابنها : بني انهض ، فضارب القوم . فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ومن يطيق ما تطيق أم عمارة . ثم أقبل الرجل ، الذي ضرب ابنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا هو ضارب ابنك قالت : فاعترض له ، فضرب ساقه ، فبرك ، قالت : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبتسم حتى رأيت نواخذه . وقال استقدت أم عمارة . ثم أقيلوا يعلونه بالسلاح ، حتى أتوا على نفسه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي أظهرك وأقر عينك ، من عدوك ، وأراك تارك بعينك .

وكانت أم عمارة قد شهدت بيعة الرضوان ، كما شهدت ، قتال مُسيلمة باليمامة ، حيث جاءت إلى أبي بكر الصديق ، تستأذنه للخروج . فقال : قد عرفنا جزاءك في الحرب ، فاخرجي على اسم الله . . وأوصى خالد بن الوليد بها ، وكان مستوصياً بها . . وقد جاهدت باليمامة ، أجل الجهاد ، وجُرح أحد عشر جرحاً ، بحسب ما أورده ابن سعد في طبقاته ، وقطعت يدها وقتل ولدها .



هي أم ورقة بنت عبد الله الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية، بشرها النبي صلى الله عليه وسلم، بالشهادة في سبيل الله، فاشتهرت بلقب (الشهيدة)، وكانت إحدى الطبيبات البارزات في زمانها، وتذكر لها المصادر، أنها شاركت في تقديم الخدمات الطبية، للمجاهدين الذين كانوا يأتون إلى المستشفيات الميدانية المتنقلة.

نشأت على حب كتاب الله تعالى، وكانت تقرأ آياته أثناء الليل وأطراف النهار، حتى حفظته عن ظهر قلب، وكانت تتدبر معانيه، وتجيد تلاوته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، يُقدر لها ذلك، حتى أنه كان يأمر بأداء الصلاة في بيتها... وكغيرها من الصحابيات الجليلات فقد شاركت في غير غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد أن كان يأذن لها، إلا يوم بدر، حيث توجهت للنبي صلى الله عليه وسلم قائلة: أأذن لي في الغزو معك، وأداوي المرضى لعل الله يرزقني الشهادة. قال: قري في بيتك، فإن الله يرزقك الشهادة.

فعاذت أم ورقة إلى بيتها، سامعة مطيعة. ويشير ابن الأثير في مصنفه الموسوم (أسد الغابة)، إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم، إذا أراد زيارتها، اصطحب معه ثلة من أصحابه، قائلاً "انطلقوا بنا نزور الشهيدة"... وقد كانت راوية للحديث الشريف، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنها روى الوليد بن عبد الله بن جميع، عن جده، وبعد حياة حافلة بالعباءة نالت أم ورقة الشهادة في بيتها بعدما غدر بها غلامها وجاريتها، حين استغلا ضعفها وكبر سنهما فقاما بقتلها في فراشها، ثم هربا، ولم يعرف خبر هذه الجريمة، إلا في اليوم التالي حين قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأصحابه: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة، فقوموا بنا نزور الشهيدة. ولما أتوا دارها، عثروا عليها ملفوفة في قطيفة، إلى جانب البيت، فنظر عمر لأصحابه، بعد أن أيقن مفارقتها الحياة، ثم قال: صدق الله ورسوله، لقد رزقت أم ورقة الشهادة، ثم صعد المنبر، فذكر الخبر.

أمينته الغفارية

أمينة، وقيل أميمة، بنت قيس الغفارية، صحابية ومجاهدة وطبيبة، بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وهي لم تتجاوز الرابعة عشر ربيعاً، شاركت في خيبر وهي في السابعة عشر ربيعاً، منحها النبي (قلادة شرف)، لجهودها وتميزها في الطب والتمريض والحكمة، وقد روي عنها أنها قالت: جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار.

فقلنا: يا رسول الله، إنا نريد أن نخرج معك إلى خيبر، نداوي الجرحى، ونعين المسلمين، بما استطعنا. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: على بركة الله. قالت: فخرجنا معه صلى الله عليه وسلم. فلما فتح الله لنا خيبر، قسم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفء وأخذ القلادة التي تزين عنقي، فأعطنيها، وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً. وكانت قد أوصت أن تدفن، ومعها القلادة الشريفة في عنقها، وحقت لها وصيتها.

أم سليم

صحابية جليلة، ومجاهدة ذات عقل ورأي، وطبيبة تداوي الكثير من العلل وتشفى الجروح، كانت مع السابقين إلى الإسلام، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتهرت بكنيتها أم سليم، ولم تتفق المصادر على اسمها الحقيقي فقيل هي سهلة وقيل رميلة وقيل رمسة وقيل مليكة، وقيل الرميضاء وقيل الغميضاء، بنت ملحان بن خالد، أم أنس بن مالك، راوي الحديث الشريف.

يوم إعلان إسلامها، غضب مالك بن النضير، أبو أنس بن مالك، غضباً شديداً، وقال لها: أصبوت!!! قالت ما صبوت، ولكني آمنت بما يأتي به هذا الرجل، ثم جعلت تلقن أنساً، وتشير إليه بقولها: قل لا إله إلا الله. قل أشهد أن محمداً رسول الله، فكان يقول لها لا تفسدي علي ابني. فتقول لا افسده، بل أصلحه، ثم خرج مالك يريد الشام، فلقيه عدو فقتله. فلما بلغها قتله قالت: لا أظلم أنساً، حتى يدع الثدي. فخطبها أبو طلحة، وهو مشرك، فأبت وقالت له يا أبا طلحة، أأست تعلم أن إلهك الذي تعبد، هو حجر لا يضر ولا ينفع، أو خشبة تأتي بها النجار فينجزها لك...!!! هل يضررك...!! هل ينفعك...!! أفلا تستحي من عبادتك هذه، فإن أسلمت، فلا أريد منك صداقاً، غير إسلامك. فوقع الإسلام في قلب أبي طلحة، ونطق بالشهادتين، فتزوجته، وكان الصداق بينهما الإسلام.

عن أنس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغزو، ومعه أم سليم، ومعها نسوة من الأنصار، يستسقين الماء ويداوين الجرحى؛ "أخرجه مسلم... وتشير المصادر، إلى دورها الفاعل، كطبيبة ومدوية، يوم أحد، وكذا يوم حنين، حيث أبلت في هذا اليوم، بلاءاً حسناً، ليست فقط مدوية للجروح، بل وأيضاً مدافعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد حزمت خنجرأ على وسطها، وهي حامل يومئذ تعبد الله بن أبي طلحة. فقال أبو طلحة يا رسول الله هذه أم سليم، معها خنجر. فقالت أم سليم: يا رسول الله، أتخذ ذلك الخنجر، إن دنا مني أحد من المشركين، بقرت به بطنه، وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك، كما تقتل هؤلاء

الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سليم إن الله قد كفى ، وأحسن وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً شريفاً ، منها أربعة في الصحيحين ، أحدهما متفق عليه ، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديث ، وروى عنها أنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وعمرو بن عاصم الأنصاري ، وزيد بن ثابت ، وأبو سلمة عبد الرحمن بن عوف .

ذكرها ابن سعد في طبقاته ، والطبري في تاريخه ، وابن عبد البر في الاستيعاب ، وابن حجر العسقلاني في الأصابة ، وهي صحابية ومجاهدة ، مارست مهنة التمريض ، وشاركت في علاج المرضى ، ومداواة الجروح ، في غير غزوة . من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد روي أنها لما أرادت الخروج إلى خيبر ، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالت يا رسول الله أخرج معك ، في وجهك هذا ، اخرز السقاء ، وأداوي المرضى والجرحى ، إن كان جراح ، وإلا تكون ، فأنصر الرجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجني على بركة الله تعالى ، فإن لك صواحب ، قد كلمتني ، وأذنت لهن ، من قومك ، ومن غيرهم ، فإن شئت فمع قومك ، وإن شئت معنا فقالت أم سنان : بل معك ، معك فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تكوني مع أم سلمة زوجتي ، فكانت معها ، وشهدت فتح خيبر .

هي من العالمات المسلمات الشهيرات بالأندلس ، كان مولدها بمدينة لوشة ( بفتح اللام وتسكين الواو وفتح الشين ) وهي قرية من مدينة قرطبة حيث يفصلها قرابة عشرين فرسخاً ، وتطل على نهر غرناطة المسمى نهر سنجل ، وكانت أم الحسن كثيرة الاطلاع ، مجيدة لغير علم من العلوم ، وإن كانت شهرتها الأكبر في الطب ، أبوها هو القاضي أحمد بن عبد الله الطنجالي ، تتلمذت علي يديها أختها ، التي يشار إليها ، في المصادر التاريخية ، كأخصائية في علاج أمراض النساء ، وكذلك تتلمذت على يديها ابنتها ، التي ذاع صيتها في علاج أمراض العيون .

وقد أشار إليها لسان الدين الخطيب ، بقوله : أم الحسن ، ثالثة حمدة وولادة ، وفاضلة الأدب والمجادة ، تقلدت المحاسن من قبل ولادة ، وولدت إبتكار الأفكار ، قبل سن الولادة " وأوردتها هيلين رايت في كتابها ( خبرات في التمريض ) ، قائلة عنها : إن أم الحسن بنت

القاضي أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم أبي جعفر الطنجالي ، كانت من عالمات الأندلس ، ومن أكثرهن حرصاً على تجويد القرآن وشاركت في فنون من الطب ، وإفراد مسائل الطب ، ونظم الشعر .

### طبيبات بني زهر :

بنو زهر ، من عائلات مدينة إشبيلية ، التي ذاع صيت غير واحد من أبنائها ، في الطب النظري والعملي ، وكان لبعض نسائها ، مكانة متقدمة ، في اختصاصات طبية محدودة ، منهن أم عمرو ، شقيقة الطبيب أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر ، الملقب بالحفيد ، وهي من فضليات الأندلس ، في علوم اللغة والأدب والفقه ، إلى جانب تخصصها في طب النساء والولادة ، أشارت إليها هيلين رايت بقولها : " إن أخت الحفيد أبي بكر ، كانت عالمة بصناعة الطب والمداواة ، ولها خبرة جيدة ، فيما يتعلق بمداواة النساء ، وكانت تدخل لنساء المنصور أبي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن " . . . ومن معين أم عمرو الطبي ، نهلت ابنتها ، حتى صارتا من أعلام النساء الطبيبات في عموم الأندلس ، وكان تخصصهما أيضا في أمراض النساء والولادة ، وكان ابن أبي أصيبعة ، قد ذكر جانباً من تفوق طبيبات بني زهر ، في صناعة الطب والخبرة الجيدة لهن ، في علاج أمراض النساء والتوليد على وجه الخصوص .

### سارة الحلبية :

وهي إلى جانب كونها طبيبة ماهرة ، كانت أيضاً أديبة مشهورة ، ومجيدة في فن الخطوط العربية ، أصلها من الشام ، وانتقلت إلى تونس ، ولفصاحتها ، وإقدامها على الكلام الحكيم ، كانت تفد على الملوك والأمراء ، ومنهم المستنصر بالله الحفصي ، صاحب إفريقية ، الذي استقبلها في قصره ، المعروف بأبي فھر ولما ارتحلت إلى الأندلس ، وفدت على أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر ( ابن الأحمر ) ، كما وفدت على الأمير أبي يوسف بن عبد الحق المريني ، ولها مراسلات قيمة ، مع القاضي أبو أمية الدلاي ، والفقيه أبو عبد الله الدراج ، والمؤرخ والأديب أبو عبد الله بن المرباط .

وكان نشاطها في حقل الطب ، متنوع يجمع ما بين الممارسة في علاج الأمراض الباطنية ، بالأدوية المستحضرة من الأعشاب والنباتات الطبية ، والمهارة في إجراء عمليات الكسور ، ومداواة الجرحى . . . وكان يقصدها المرضى ، من أنحاء الأندلس ، والمغرب ، كما كانت تحاضر

في قرطبة ، وتتلذذ على يديها العديد من طالبى وطالبات العلم ، الذين صارو فيما بعد ، علماء يشار إليهم بالبنان ، وكانت سارة الحلبية قد قضت آخر أيامها ، في الدار البيضاء بمراكش .



إن الإدعاء الباطل ، الذي يروجه المغرضون ، بأن المرأة في الإسلام ، كانت حبيسة البيوت ، ولم يكن لها أي نشاط مجتمعي . تدحضه الأنشطة ، غير المسبوقة في التاريخ ، التي مارستها ، وبرعت فيها العالمات المسلمات ومنها النشاط الطبي ، ومداداة المرضى ، فلا ينكر دورهن ، إلا مغرض أو جاحد ، وبالطبع ما أتينا به هنا ، من أعلام النساء في الطب العربي ، ليس سوى قليل من كثير ، حيث ينضم إليهن الطبيبة الماهرة بنت دهن اللوز الدمشقية التي توفيت في ربيع الآخر سنة ٦١٤هـ ، بعد حياة حافلة بالعطاء ، والثراء العلمي ، وابنة رئيس الأطباء ، بدار الشفاء المنصوري بالقاهرة ، الطبيب الذائع الصيت أحمد بن سراج الدين ، الملقب بشهاب الدين ، وقد اشتهرت هذه الطبيبة شهرة واسعة في الجراحة العامة والكسور وتولت المنصب الذي كان يشغله أبيها ، بعد وفاته وكعية بنت سعد ، والسيدة خمينة ، والربيع بنت معوذ ، وأم أيمن ، وزينب بنت أبي البركات البغدادية ، وسلمى بنت محمد بن محمد الجزري ( أم الخير ) ، وأم رمثة بنت عمر بن هاشم ، وبخيتة بنت الحارث ، وعائشة بنت أحمد القرطبية ، وصفية بنت عبد الله ، وعائشة ابنة الشيخ محمد بن عبد الجبار ، محتسب سبته . . وغيرهن الكثيرات ، من العالمات بالطب والمداداة . . .

### أهم المراجع

١. الإمام الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي : الأصابة في تمييز الصحابة - تحقيق / علي محمد البجاوي - الطبعة الأولى - دار الجيل - بيروت ١٤١٢هـ.
٢. ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
٣. ابن الأثير : الكامل في التاريخ
٤. د. حسان شمسي باشا : الآسيات والطبيبات المسلمات.
٥. أبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني - تحقيق / سمير جابر - الطبعة الثانية - دار

الفكر - بيروت ( بدون تاريخ )

٦. عمر رضا كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة - بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
٧. ابن طيفور : بلاغات النساء.
٨. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الطبعة الرابعة - دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥ هـ.
٩. محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، المعروف بابن سعد : الطبقات الكبرى - دار صادر - بيروت.
١٠. ابن هشام : السيرة النبوية.
١١. ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء - شرح وتحقيق د. نزار رضا - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٥ م.
١٢. أ.د. كمال السامرائي : الأمراض النسوية في التاريخ القديم .
١٣. د. محمد كامل حسين ( وآخرون ) : الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب.
١٤. أ.د. أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام - مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي - دمشق ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م.
١٥. د. علي عبد الله الدفاع : أعلام العرب والمسلمين في الطب - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
١٦. أحمد شوكت الشطي : تاريخ الطب وآدابه وأعلامه.
١٧. ابن الأثير : أسد الغابة.
١٨. ابن الأخوة : معالم القرية في أحكام الحسبة.
١٩. د. عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد : الطب ورائداته المسلمات - مكتبة المنار - الطبعة الأولى - الزرقاء ( الأردن ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٢٠. خير الدين الزركلي : الأعلام ببيروت ١٩٩٧ م.
٢١. هيلين رايت : خبرات في التمريض - ترجمة د. سعاد ماهر.

٢٢. الموسوعة العربية الميسرة - المكتبة العصرية - ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م
٢٣. أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه - دار الفكر ١٩٧٣م / ١٣٩٣هـ.
٢٤. الموسوعة العربية العالمية.
٢٥. محمد المعلم وآخرون : موسوعة الشروق - دار الشروق القاهرة ١٩٩٤م.
٢٦. د. عمر فروخ : تاريخ العلوم.
٢٧. د. سامي حمارة : تاريخ تراث العلوم الطبية.
٢٨. أبحاث المؤتمر الثالث لتاريخ العلوم عند العرب - حلب ١٩٧٨م.
٢٩. عبدالرزاق زقزوق : تاريخ الطب عند العرب في العصر الإسلامي.
٣٠. زهير حميدان : أعلام الحضارة الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٥م.
٣١. د. عبد اللطيف البدري : الطب عند العرب - الموسوعة الصغيرة - العدد ٨ - منشورات وزارة الثقافة والفنون - بغداد ١٩٧٨م.
٣٢. ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب - الطبعة الأولى دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٣٣. محمد ذهني : مشاهير النساء.
٣٤. عبد الغني المقدسي : مناقب الصحابييات.
٣٥. حسن حسني عبد الوهاب : الشهيرات التونسية.
٣٦. صلاح الدين بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات - تحقيق القاضي - شتوتجارت ١٩٩١م.
٣٧. الطبري : ذيل التاريخ .
٣٨. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام - تحقيق / د. عمر عبدالسلام تدمري - الطبعة الأولى - دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.